فصل في
ما قدمه ﷺ للبشرية من خير عاجل وآجل

لقد بعث الله نبينا ﷺ رحمة للعالمين،وهدى للناس أجمعين،بعثه الله بالحنيفية السمحة، فما ترك خيراً إلا دلَّ عليه،ولا شراً إلا حذر منه،وقد قدَّم للبشرية جمعاء خيراً عظيماً،عاجلاً وآجلاً.

أولاً: الخير العاجل الذي قدمه للبشرية ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ :

[١] أنه ﷺ بُعث إلى البشرية لينقلها ـ بأمر الله ـ من عبودية البشر إلى عبودية الله وحده لا شريك له ، خالق الخليقة ومالكها ورازقها ومدبر أمورها :

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴾ [البقرة :٢١-٢٢].

وقد كان النبي ﷺ يكاتب ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ، ويجعل في رسائله قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾ [آل عمران :٦٤] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام : إني أعلمك كلمات ،احفظ الله يحفظك ،احفظ الله تجده تجاهك ،إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ،واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ،ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» (١) .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (صفة القيامة والرقاق والورع) باب (رقم ٥٩) ، وحديث رقم ٢٥١٦ ، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله-.

[٢] أنه ﷺ بعث ليحرر قلوب العباد وعقولهم من التعلق بالأموات والأشجار والأحجار، وسائر ما يعبد من دون الله:

قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) ﴾ [الإسراء ٥٦-٥٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) ﴾ [يونس :١٠٦-١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) ﴾ [سبأ : ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) ﴾ [فاطر :١٣-١٥] .

[٣] أنه ﷺ بعث ليحرر عقول البشر من الاعتقادات المناقضة للعقول السليمة والشرائع:

كالقول بأن لله ولداً - سبحانه - وانه ضحّى به دون خطيئة أو ذنب فداءً للبشرية.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩٥] .

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ

وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) ﴾ [المائدة – ٧٣–٧٥] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا(١٧٢) ﴾ [النساء : ١٧١–١٧٢] .

وهكذا القول بأن الله تعب بعد خلق الخلق فاستراح يوم السبت – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) ﴾ [ق : ٣٨] .

وقال تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) ﴾ [الأحقاف :٣٣] .

[٤] أنه ﷺ بعث ليحرر عقول البشر من الدجل والخرافات :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**، فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟، **فقال: فمن أعدى الأول؟**»(١) .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا عدوى ولا طِيَرَةَ ولا غُوْلَ**»(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الطب) باب (لا صفر) برقم ٥٧١٧ ، ومسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (لا عدوى ولا طيرة برقم ٢٢٢٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (لا عدوى ولا طيرة) برقم ٢٢٢٠ .

قوله ﷺ: «لا عدوى»: « أحسن ما قيل فيه قول البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح - رحمهم الله - وغيرهم أن قوله ﷺ: «**لا عدوى**» أي على الوجه الذي كان يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى ، وأن هذه الأمور تعدي بطبعها ، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سبباً لحدوث ذلك ، ولهذا قال ﷺ: « **فرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد**» ، وقال ﷺ: «**لا يورد ممرض على مُصح**» وقال ﷺ في الطاعون: «**من سمع به في أرض فلا يقدم عليها**» وكل ذلك بتقدير الله»[١] .

قوله ﷺ: «ولا صَفَرَ»: أي لا تشاؤم بشهر صفر كما كان يتشاءم أهل الجاهلية.

قوله ﷺ: «ولا هامَةَ»:

قال الحافظ بن حجر -رحمه الله- في الفتح:[٢]

ذكر الزبير بن بكار في الموفقيات أن العرب كانت في الجاهلية تقول: إذا قُتل الرجل ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة – وهي دودة – فتدور حول قبره فتقول: اسقوني اسقوني ، فإن أدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت.

قال: وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب.

وقال القزاز: الهامة طائر من طيور الليل – كأنه يعني البومة – .

وقال : إن الأعراب كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إليَّ نفسي أو أحداً من أهل داري ، وقال أبو عبيد: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير اهـ.

قلت: لا مانع أن تلك الخرافات كانت كلها سائدة ، فأبطلها رسول الله ﷺ جميعاً ،وبين ضلال أهل الجاهلية فيما يعتقدون من ذلك.

قوله ﷺ: (ولا طيرة): الطيرة: التشاؤم .

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب (التوحيد) ٣٥١ .

(٢) (١٠/٢٥٢) .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (١)

أصل التطير أنهم كانوا يعتمدون في الجاهلية على الطير ، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنةً تيمَّن به واستمر ، وإن رآه طار يسرةً تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيِّج الطير فيعتمدها ، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك . اهـ.

قوله ﷺ : «ولا غول»:

قال الإمام ابن الأثير -رحمه الله-: (٢)

الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين ،كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، تتلون تلوناً في صور شتى وتغولهم: أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله اهـ.

وعن معاوية بن الحكم السّلمي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية كنَّا نأتي الكهَّان قال ﷺ : **فلا تأتوا الكُهَّان**، قال: قلت: كنَّا نتطير. قال ﷺ : **ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنَّكم**» (٣) .

الكُهَّان: هم الذين يدَّعون علم المغيبات.

قوله ﷺ: ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم»

قال الإمام النووي في شرح مسلم: (٤)

معناه أن كراهة ذلك تقع في نفوسكم في العادة، ولكن لا تلتفتوا إليه ولا ترجعوا عمَّا كنتم عزمتم عليه قبل هذا .اهـ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان؟ ،فقال لهم رسول الله: «**ليسوا بشيء**». قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقًّا، قال رسول الله ﷺ : **تلك الكلمة يخطفها الجني فيقرّها في أذن وليِّه قرَّ الدجاجة فيخلطون بها أكثر من مئة كذبة**» (٥) .

---

(١) (١٠/٢٢٣) .
(٢) النهاية (٣/٣٩٦) .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (تحريم الكهانة وإتيان الكهان) برقم ٢٢٢٧ .
(٤) (١٤/٣٨٦) .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (تحريم الكهانة وإتيان الكهان) برقم ٢٢٢٨ .

قوله ﷺ: (ليسوا بشيء):

قال الإمام النووي -رحمه الله-: معناه بطلان قولهم وأنه لا حقيقة له.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: « أخبرني رجل من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلةً مع رسول الله ﷺ رُمِيَ بنجمٍ فاستنار. فقال رسول الله ﷺ: ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟. قالوا: كنا نقول: وُلِدَ الليلةَ رجلٌ عظيمٌ ومات رجلٌ عظيمٌ.

فقال رسول الله ﷺ: **فإنها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا ـ تبارك وتعالى اسمه ـ إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش، ثم سبَّح أهل السماء الذي يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش: لحملة العرش ماذا قال ربكم؟، فيخبرونهم ماذا قال. قال فيستخبر بعض أهل السموات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السَّمع فيقذفون إلى أوليائهم ويُرمون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون**»[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كانت اليهود تقول: إذا جامع الرجل امرأته من ورائها في قُبُلها جاء الولد أحول، فنزل قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣][2].

[٥] أنه ﷺ بعث إلى البشرية بدين يدعو إلى الإيمان بجميع أنبياء الله السابقين والكتب المنزلة عليهم واحترامهم ومحبتهم والدفاع عنهم، وبيان أنهم صفوة الله من خلقه، وأكمل الخلق علماً وعملاً، وأبعدهم عن الفواحش والآثام.

قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (تحريم الكهانة وإتيان الكهان)، برقم ٢٢٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب (﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾)، برقم ٤٥٢٨، ومسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (جواز جماع امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها)، برقم ١٤٣٥.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٥٢) ﴾ .

[النساء : ١٥٠-١٥٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ (٩٠) ﴾ [الأنعام : ٨٣-٩٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة**، قالوا: كيف يا رسول الله؟، **قال: الأنبياء إخوة من علات** [١]، **أمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي**» [٢].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمّه** » . ثم قال أبو هريرة: إقرأوا

---

(١) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٥ / ٥٠٥): قال العلماء أولاد العلات بفتح العين وتشديد اللام المهملة هم الإخوة لأب من أمهات شتى. قال جمهور العلماء: معنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصل التوحيد، وأمّا فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف. أمّا قوله ﷺ: « **دينهم واحد** »: فالمراد به أصول التوحيد وأصل طاعة الله تعالى، وإن اختلفت صفتها. اهـ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل عيسى عليه السلام) ، برقم ٢٣٦٥ .

إن شئتم ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٦] (١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا خير البريَّة . فقال رسول الله ﷺ : «**ذاك إبراهيم عليه السلام**» (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال** : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة ٢٦٠] **ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي**» (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئاً كرهه أو لم يرضه قال :لا والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه وقال : تقول والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا؟، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا أبا القاسم : إن لي ذمَّة وعهداً ، فلانٌ لطم وجهي . فقال رسول الله ﷺ : **لم لطمت وجهه**؟ . قال : قال يا رسول الله ﷺ : والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا .

قال : **فغضب رسول الله ﷺ حتى عُرف الغضب في وجهه ،ثم قال : لا تفضلوا بين الأنبياء ، فإنه ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بُعث أو في أول من بُعث ،فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش ، فلا أدري أحوسب بصعقة يوم الطور أو بُعث قبلي . ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متَّى عليه السلام**» (٤) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **مررت على موسى ليلة**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) باب قول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ برقم ٣٤٣١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل عيسى عليه السلام) ، برقم ٢٣٦٦ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل إبراهيم عليه السلام) ، برقم ٢٣٦٩ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) باب قول الله تعالى :﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم (٥١) ﴾ برقم ٣٣٧٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام) ، برقم ٢٣٧٠ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل موسى عليه السلام) ، برقم ٢٣٧٣ .

أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره» (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: **أتقاهم**. قالوا ليس عن هذا نسألك. **قال: فيوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله.** قالوا ليس عن هذا نسألك. قال: **فعن معادن العرب تسألوني؟ ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»** (٢) .

هذا ومن صميم عقيدة المسلمين أن من كذَّب نبياً واحداً أو قذفه أو قذف أمَّه أو زوجته أو سخر به أو سبَّه فإنه كافر بالله العظيم، فالمسلمون يؤمنون بجميع رسل الله ويحبونهم ويحترمونهم،ويعتقدون أنهم خيرة خلق الله وصفوة عباده،فهم رسل فلا يكذبون،وعباد لله فلا يعبدون،فالمسلمون وسط في أنبياء الله بين من عبدوهم مع الله أو من دون الله وبين من قتلوا الأنبياء ونسبوهم إلى العظائم وافتروا عليهم أقبح الكذب وكذبوهم وسخروا منهم،وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة : ١٤٣].

[٦] أنه ﷺ بعث إلى البشرية بدين «موافق للفطرة السليمة» :

يراعي حاجات الروح ومطالب الجسد ،ويوازن بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، ويهذب غرائز الإنسان ونوازعه ولا يكبتها ولا يلغيها ، كما حصل في حضارات أمم أخرى» بعضها أغرقت في المثالية المخالفة للفطرة والعقل فحرمت الراغبين في العبادة والتنسك من حقوقهم الفطرية ، كالزواج ، ورد عدوان المعتدين ، ونحو ذلك.

وأغرقت بعضها في الماديات وأهملت جانب الروح وتهذيب النفوس،ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)**﴾ .

[القصص: ٧٧] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في الموضع السابق برقم ٢٣٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) باب قول الله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ برقم٣٣٥٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (فضائل يوسف عليه السلام) ، برقم ٢٣٧٩ .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ﴾ [الجمعة : ٩-١٠] .

قال تعالى: ﴿ طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢) ﴾ [طه : ١-٢] .

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾ [الملك : ١٥] .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: « **يا عبد الله: ألم أُخبَر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟** ، فقلت: بلى يا رسول الله. **قال: فلا تفعل. صم وأفطر، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك** ـ أي ضيفك ـ **عليك حقاً ، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام ، فإن لك بكل حسنة عشرة أمثالها ، فإن ذلك صيام الدهر كله.** فشَدَّدت فَشُدِّد عليَّ. قلت: يا رسول الله إني أجد قوَّةً. **قال: فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه** ، قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام ؟ ، **قال: نصف الدهر.** فكان عبد الله يقول بعدما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ » (١) .

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء،فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذِّلة فقال لها: ما شأنك؟ ، قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كل. قال: فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم ،فنام. ثم ذهب يقوم. فقال: نم. فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصلّيا.

فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً،ولنفسك عليك حقاً،ولأهلك عليك حقاً

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصيام) باب (حق الجسم في الصوم) ، برقم ١٩٧٥ .

فأعط كل ذي حق حقَّه ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ : **صدق سلمان**» (١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته،فلما أُخبروا كأنَّهم تقالُّوها . فقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ؟ ، فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،فقال أحدهم : أمَّا أنا فأصلي الليل أبداً . وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : « **إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي**» (٢) .

عن حنظلة الأسدي رضي الله عنه قال :لقيني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة؟ ، فقلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ، ما تقول؟ ، قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنَّة حتى كأنَّا نراها رأي العين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا (٣) الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً .

قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إنَّا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله « **وما ذاك؟** قلت : نكون عندك تذكِّرنا بالنار والجنَّة حتى كأنَّا نراها رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً .

فقال رسول الله ﷺ : **والذي نفسي بيده إنْ لوتدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعةً ، ساعةً وساعةً ، ساعةً وساعةً** » (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الصيام) باب (من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع) ، برقم ١٩٦٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (الترغيب في النكاح) ، رقم ٥٠٦٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (استحبا ب النكاح لمن تاقت نفسه) ، برقم ١٤٠١ .

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٦ / ٢٢٤) : قال الهروي وغيره معناه : حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به ، أي عالجنا معايشنا وحظوظنا . اهـ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (التوبة) باب (فضل دوام الذكر) ، برقم ٢٧٥٠ .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث. قالت: وليستا بمغنيتين. فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ .وذلك في يوم العيد،فقال رسول الله ﷺ: « **يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا** » (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر** ، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. فقال رسول الله ﷺ: **إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس**» (٢) .

[٧] أنه ﷺ بُعث إلى البشرية بالدعوة إلى توثيق الروابط الاجتماعية:

من برٍّ الوالدين ، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ونصرة المظلوم، وغير ذلك ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ ، قال: **الصلاة على وقتها**. قلت: ثم أي؟ ، **قال: برُّ الوالدين**. قلت: ثم أي؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**» (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي؟، **قال: أمك**. قال: ثم من؟ **قال: أمك**. قال: ثم من؟ **قال: أمك**. قال: ثم من؟، **قال: أبوك**» (٤) .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال :أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغى الأجر من الله. **قال: هل من والديك أحدٌ حي**؟ ، قال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العيدين) باب (سُنَّة العيدين لأهل الإسلام) ، برقم ٩٥٢ ومسلم في صحيحه كتاب (صلاة العيدين) باب (الرخصة باللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد) ، برقم ٨٩٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (تحريم الكبر) ، برقم ٩١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (البر والصلة) ،برقم ٥٩٧٠ ،ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (كون الإيمان بالله أفضل الأعمال) ، برقم ٧٩ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (البر والصلة) ،برقم ٥٩٧١ ،ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (بر الوالدين) ، برقم ٢٥٤٨ .

نعم بل كلاهما. قال: **فتبتغي الأجر من الله؟**، قال: نعم. **قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟، قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك.**

ثم قال رسول الله ﷺ: إقرأوا إن شئتم: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣)**﴾ [محمد: ٢٢-٢٣] (٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يُبسط له في رزقه وينسأ له أثره فليصل رحمه**» (٣).

وعن أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**. قال: وما جائزته يا رسول الله؟، **قال: يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» (٤).

وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. والله لا يؤمن**، قيل: من يا رسول الله؟، **قال: من لا يأمن جاره بوائقه**» (٥) - أي شره -.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب (البر والصلة) باب (بر الوالدين)، برقم ٢٥٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (من وصل وصله الله)، برقم ٥٩٨٧، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (صلة الرحم)، برقم ٢٥٥٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب (الأدب) باب (من بُسط له في رزقه بصلة الرحم)، برقم ٥٩٨٦، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (صلة الرحم برقم)، ٢٥٥٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)،برقم٦٠١٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (إثم من لا يأمن جاره بوائقه)، برقم ٦٠١٦.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :«**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً** ، فقال رجل: يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟، **قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصره**» (١) .

أيها القارئ الكريم، ماظنك بمجتمع مستقيم على هذه التوجيهات وسائر عليها، أي ترابط يكون بين أفراده،وأي سعادة تغمر أبنائه؟!، لأن كل واحد يعرف ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات،ومن حصل منه مخالفة مدوا إليه يد العون وأسدوا إليه النصح،ليرجع إلى جادة الصواب،يكمل بعضهم بعضاً،ويرحم بعضهم بعضاً فالأبوان ينعمان في ظل هذه التعاليم الربانية بالبر والإحسان والرعاية والإكرام ليس في يوم واحد من أيام السَنَة،بل في طيلة الحياة،وأبناء ينعمون برعاية الآباء والأمهات فهم المسئولون في الدرجة الأولى عن تربيتهم وتوجيههم،وتقويم أخلاقهم وتأديبهم، والجيران ينعمون بالإحسان المتبادل من بذل الخير بكافة صوره،وكف الأذى بكافة صوره وكل أحد يعرف حق أقاربه من صلة وإحسان ، وتعاون على البر والتقوى.

والضيف يعامل بالإكرام والإحسان ولا يشعر بغربة وإن كان بعيداً عن أهله وبلده ، لأنه بين إخوة في الدين له ما لهم وعليه ما عليهم.

والمظلوم يجد المجتمع من حوله خير معين له ونصير في الحق حتى ترد إليه مظلمته.

والفقير والمسكين واليتيم والأرملة ،وكل الضعفاء والمحتاجين ينعمون بعطف إخوانهم وإحسانهم وحمايتهم ،ومد يد العون إليهم، ودفع الضرر عنهم.

إن تلك التعاليم الربانية السامية كفيلة بترابط الأسر والمجتمعات ظاهراً وباطناً، بحيث يكون المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، فنحمد الله الذي هدانا لهذا ، وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإكراه) الباب (السابع) ، برقم ٦٩٥٢ .

[٨] أنه ﷺ حرَّر المرأة من ظلم أهل الجاهلية وأهل الكتاب:

لقد بعث الله محمداً ﷺ والمرأة مظلومة مهضومة تعامل كما يعامل سَقَطُ المتاع، حتى قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه «**والله ما كنا في الجاهلية نعد النساء شيئاً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل**» (١) .

فبعث الله نبيه ﷺ بهذا الدين القويم،فجعل المرأة درَّة مصونةً،وجوهرةً مكنونةً، حررها من ظلم الجاهلية،وأعطاها حقوقها الشرعية التي تناسب فطرتها وطبيعتها ، لا وكس ولا شطط،ومن ذلك ما يلي:

(١) كان أهل الجاهلية يدفنون بناتهم أحياءً خشية العار أو الفقر ـ زعموا ـ فحرَّمت شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ذلك ونفرَّت عنه.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)** ﴾ [التكوير :٨-٩] .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: (٢)

الموءودة : هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تُسأل الموءودة على أي ذنب قُتِلَت ، ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذاً؟ . اهـ.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره:

وهي ما كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب إلا خشية الفقر فتسأل: ﴿ **بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾ ، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتلها . اهـ.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات، ومنعاً وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال**» (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الطلاق) باب (في الإيلاء واعتزال النساء) ، برقم ١٤٧٩ .

(٢) (٤/ ٦١٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإستقراض) باب (ما ينهى من إضاعة المال) ، برقم ٢٤٠٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (النهي عن كثرة المسائل من غير حاجه) ، برقم ٢٦٢٩ .

ورتَّب الشرع على تربية البنات والصبر عليهن الأجر العظيم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كنَّ له ستراً من النار**» (١).

(٢) كان أهل الجاهلية لا يورِّثون المرأة بدعوى أنه لا يرث إلا من حمل السلاح وركب الفرس، فأعطت شريعة نبينا محمد ﷺ المرأة حقها من الميراث، فورثتها أمَّاً وجدَّة وبنتاً وزوجة وأختاً.

(٣) كان أهل الجاهلية يزوجون المرأة دون علمها ولا إذنها ولا رضاها،فجاءت شريعة محمد بن عبد الله ﷺ وأعطت المرأة حقها في ذلك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: «**لا تنكح الأيِّم** (٢) **حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن**» (٣).

(٤) بعث الله نبيه ﷺ ومن أنكحة الجاهلية ما يسمَّى بالشغار، يقول الرجل للرجل: زوجني ابنتك على أن أزوجك ابنتي، أو زوجني أختك وأزوجك أختي، دون أن يعطي المرأة شيئاً من المهر ودون رضاها، فأبطل النبي ﷺ هذا النكاح الذي فيه ظلم للمرأة فقال: «**لا شغار في الإسلام**» (٤).

(٥) بعث الله نبيه ﷺ والرجل من أهل الجاهلية يطلِّق زوجته ما شاء ثم يراجع، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ **الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [البقرة:٢٢٩]، فرفع الظلم عن المرأة بهذه الشريعة السمحة.

(٦) بعث الله نبيه محمداً ﷺ واليهود إذا حاضت فيهم المرأة لم يؤاكلوها ولم يجتمعوا معها في بيت، فخالفهم رسول الله ﷺ في ذلك، وقال:«**إصنعوا كل شيء إلا النكاح**».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (اتقوا النار ولو بشق تمرة)، برقم ١٤١٨ ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (فضل الإحسان إلى البنات)، برقم ٢٦٢٩.

(٢) أي: الثيب.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها)،برقم ٥١٣٦، ومسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (استئذان الثيب في النكاح)، برقم ١٤١٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (تحريم نكاح الشغار وبطلانه)، برقم ١٤١٥.

فعن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت فيهم المرأة لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)** ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

فقال رسول الله ﷺ : «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه**» (١) .

(٧) بعث الله نبيه ﷺ وأهل الجاهلية لايرون النساء شيئاً (٢) ، فأعطاهن رسول الله ﷺ حقوقهن وأوصى بهن خيراً.

فقد قال النبي ﷺ : « **إنما النساء شقائق الرجال**» (٣) .

وقال ﷺ : «**استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلَع ، وإن أعوج شيء في الضِّلَعِ أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج ،فاستوصوا بالنساء خيراً**» (٤) .

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (٥)

وفي هذا الحديث ملاطفة النساء والإحسان إليهن ،والصبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن ، وكراهية طلاقهن بلا سبب، وأنه لا يطمع باستقامتها والله أعلم . اهـ.

وقال ﷺ : «**لا يفرك** (٦) **مؤمن مؤمنة ،إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**»(٧) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحيض) باب (جواز غسل الحائض رأس زوجها وطهارة سؤرها) برقم ٣٠٢ .

(٢) كما في صحيح مسلم كتاب (الطلاق) باب (في الايلاء) ، برقم ١٤٧٩ .

(٣) أخرجه النسائي في سننه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (الوصاة بالنساء) ، برقم ٥١٨٥ ومسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (الوصية بالنساء) ،برقم ٤٦٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) شرح مسلم (١٢ / ٤٧).

(٦) الفرك : البغض.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (الوصاة بالنساء) ،برقم ٤٦٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح مسلم: (١)

أي ينبغي أن لا يبغضها،لأنه إن وجد فيها خلقاً يكرهه وجد فيها خلقاً مرضياً، بأن تكون شرسة الأخلاق لكنها دينَّة أو جميلةً أو عفيفةً أو رفيقةً به،أو نحو ذلك اهـ.

وقال ﷺ :«**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» (٢) .

وقال ﷺ :«**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً ،وخيارهم خيارهم لنسائهم**»(٣).

وحث النبي ﷺ على تعليم المرأة في عدة أحاديث منها:

[١] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وآمن بمحمد ﷺ ، والعبد المملوك إذا أدَّى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمةٌ فأدَّبها فأحسن تأديبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران**» (٤) .

[٢] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» (٥) . وهذا يشمل الرجال والنساء.

[٣]عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال :أتينا النبي ﷺ ونحن شببه متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلةً،فظن أنَّا اشتقنا أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلنا،فأخبرناه،وكان رفيقاً رحيماً فقال: «**ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم،وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم**» (٦) .

[٤] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « قالت النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك. فوعدهنَّ يوماً لقيهنَّ فيه،فوعظهنَّ وأمرهنَّ فكان فيما قال لهنَّ: «**ما منكنَّ امرأة تقدِّم ثلاثة من أولادها إلا كان لها حجاباً من النار،**

---

(١) (١٢/ ٤٧) .

(٢) الطحاوي في مشكل الآثار (٣ / ٢١١) والحاكم في المستدرك (٤ / ١٧٣) ، وصححه العلامة الألباني .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢ / ٢٠٤) وأحمد في مسنده (٢ / ٢٠٥ - ٤٧٢) ، وحسنه العلامة الألباني .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (تعليم الرجل أمته وأهله) ، برقم ٩٧ .

(٥) انظر :صحيح الجامع برقم ٣٩١٣ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الناس والبهائم) ، برقم ٦٠٠٨ .

فقالت امرأة: واثنين؟ ، فقال: واثنين» [١] .

[٨] ما كان عليه النبي ﷺ من حُسن العشرة مع أزواجه : فهو القائل ﷺ كما سبق: **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي.**

ويتضح ذلك في عدة أمـــور:

(أ) أنه كان في البيت في مهنة أهله ﷺ .

فعن الأسود بن يزيد رضي الله عنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟، قالت: كان يكون في مهنة أهله ـ يعني خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» [٢] .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: [٣]

وفي الحديث : الترغيب في التواضع وترك التكبُّر ، وخدمة الرجل أهله اهـ.

وقال -رحمه الله -: [٤]

« قال ابن بطال: من أخلاق الأنبياء التواضع ، والبعد عن التنعُّم ، وامتهان النفس ، ليُستنَّ بهم ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة » اهـ.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته قالت: « كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه » [٥] .

(ب) أنه ﷺ ما عاب طعاماً قط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه » [٦] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم) ، برقم ١٠١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأذان) باب (من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج) ،برقم ٦٧٦ .

(٣) (٢ / ١٩١) .

(٤) (١٠ / ٤٧) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦ / ٢٥٦) وغيره ، وهو حديث صحيح .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٦٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (لا يعاب الطعام) ، برقم ٢٠٦٤ .

(جـ) أنه ﷺ ما ضرب امرأة قط :

فعن عائشة رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ ـ قالت : « ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً بيده قط ، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن يُنتَهك شيءٌ من محارم الله فينتقم لله ـ عز وجل ـ » (١) .

(د) رحمته ﷺ بأزواجه ـ رضي الله عنهن ـ وأمره سائق إبلهنَّ أن يرفق بهنَّ :

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى على أزواجه وسوَّاقٌ يسوق بهنَّ يقال له أنجشة . فقال : « **ويحك يا أنجشة ، رويداً سوقك بالقوارير** » (٢) .

وعنه رضي الله عنه قال : كان لرسول الله ﷺ حادٍ حسن الصوت ،فقال له رسول الله ﷺ « **رويداً يا أنجشة ، لا تكسر القوارير** » ـ يعني ضعفة النساء ـ (٣) .

وبعد كل ما سبق فلا يمتري ذو لبٍّ في أن الشريعة الإسلامية السمحة التي جاء بها محمد ﷺ قد أنصفت المرأة وأعطتها حقوقها العادلة ، بعدما ظلمتها الجاهلية كلُّها ، فحررها الإسلام من قيودها ، وكرَّمها وأعلى مكانتها باعتبارها إنساناً وبنتاً وزوجة وأُمًّا ، وعضواً في الأسرة والمجتمع .

كرَّمها إنساناً منذ أعلن أنها مكلفة كالرجل ، وأنها مثابة ومعاقبة مثله ، وأنها أحد شقي الإنسانية ، فلا بقاء للنوع بغيرها ، يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ** ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ** ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (مباعدته ﷺ للآثام) ، برقم ٢٣٢٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في الموضع السابق برقم ٢٣٢٣ .

(٣) المصدر السابق .

ويقول الرسول ﷺ : « **إنما النساء شقائق الرجال** » .

❁ وكرَّمها بنتاً فأنكر أشد الإنكار وأدَها خشية الإملاق،أو خوف العار،أو لأي سبب كان،فلو لم يكن من فضل هذه الشريعة إلا تحريم هذه العادة القبيحة لكفاها فخراً.

❁ كما أوجب حسن تأديبها وتعليمها ورعايتها والإنفاق عليها حتى تتزوج ، وفرض على أبيها ألا يزوجها إلا برضاها وإذنها ، وإن كانت بكراً تستحي من إظهار الإذن والرضا بالقول فجعل إذنها صُماتها.

❁ وكرَّمها زوجةً ، فجعل لها مثل ما للرجل من الحقوق ، إلا في درجة القوامة والمسئولية عن الأسرة فجعلها للرجل ، لأنه أكثر بصراً بالعواقب من المرأة ، ولأنه الغارم في بناء الأسرة ، فيظل حريصاً على بقائها ، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

❁ وأوجب لها النفقة وتمام الكفاية والمعاملة بالحسنى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩] .

❁ وكرَّمها أُمًّا ، وأمر بحسن مصاحبتها ومعاشرتها إكراماً لأمومتها ، وجزاءً لما عانت في سبيل أولادها ، قال تعالى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

❁ وكرَّمها باعتبارها عضواً مدنياً في الأسرة والمجتمع ، فأنكر اعتبارها عند موت زوجها شيئاً يورث كما يورث المتاع والدواب ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ [النساء: ١٩] .

❁ وقرر أهليتها للتملك والبيع والشراء وسائر العقود،فهي تملك كما يملك الرجل، قال تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء:٣٢].

❁ وأصبح لها حظ من الإرث الذي كان من قبل مقصوراً على الرجال،قال تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ [النساء: ٧] .

وجعل لها حقاً ـ بل واجباً ـ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فليس ذلك مما قصر على الرجال في المجتمع المسلم ، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ [التوبة : ٧١] .

وفسح لها مجالاً لمشاركة الرجال في ميادين الجهاد فيما يلائم طبيعتها مثل الإسعافات الأولية والتمريض والخدمات ، وعند الضرورة يمكن أن تحمل السلاح وتقاتل ، كما فعل ذلك كثير من نساء الصحابة رضي الله عنهم في غزوات رسول الله ﷺ .

وجعل طلب العلم فريضة عليها كما على الرجال ، ولهذا رأينا منهن العالمات والأديبات والشاعرات ، والحافظات المُسْنِدات في علم الحديث يرحل إليهنَّ الحفاظ والمحدثون ، ويأخذون عنهنَّ بغير تأثُّم ولا حرج ـ من وراء حجاب ـ كما سجل ذلك تأريخ علم الحديث » (١)

[٩] أنه ﷺ بعث إلى البشرية بشريعة سمحة ليس فيها آصار ولا أغلال ولا حرج،

قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [البقرة : ٢٨٥-٢٨٦] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزل على رسول الله ﷺ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

---

(١) شريعة الإسلام خلودها وصلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان ص (٤٧-٤٩) ، باختصار.

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كُلِّفْنا ما نطيق ، الصلاة والصيام والصدقة ، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، قال رسول الله: « **أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ ، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . قالوا :سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ، فلما إقترأها القوم ذلّت بها ألسنتهم ، فأنزل الله في إثرها ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾[البقرة : ٢٨٥] .

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل عز وجل: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ قال الله تعالى :(نعم) .

﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ قال الله تعالى :(نعم) .

﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قال الله تعالى: (نعم) .

﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ قال الله تعالى: نعم » [١] .

وفي رواية أخرى بعد كل دعاء مما سبق يقول الله سبحانه وتعالى: قد فعلت[٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :« إني أرسلت بالحنيفية السمحة »[٣] .

[١٠] أنه ﷺ حمل إلى البشرية التيسير والتبشير:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الدين يسر ، ولن يشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وابشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة**» [٤] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يكلف إلا ما يطيق) ، برقم ١٩٩ .

(٢) المصدر السابق برقم ٢٠٠ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦ / ١١٦) وغيره ، وسنده حسن.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدين يسر) ، برقم ٣٩ .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: «**بشروا ولا تنفروا ، ويسِّروا ولا تعسروا**» (١) .

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن قال « **يسِّرا ولا تعسِّرا ،وبشِّرا ولا تنفِّرا ، وتطاوعا ولا تختلفا**» (٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **يسِّروا ولا تعسِّروا ، وسكِّنوا ولا تنفِّروا**» (٣) .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح: (٤)

« المراد تأليف من قرُبَ إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل ، وكذلك تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج ، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حُبِّب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط ، وكانت عاقبته الازدياد ، بخلاف ضده ، والله أعلم . اهـ.

[١١] أنه ﷺ بعث إلى البشرية بنبذ الغلو والتنطع والتطرف:

وذلك أن الله جعل هذه الأمة وسطاً بين الأمم في عقيدتها وعبادتها وأخلاقها ومعاملاتها ، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة : ١٤٣] .

والوسط : العدل الخيار، فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا جفاء.

وقد عاب الله على أهل الكتاب الغلو في الدين فقال: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (في الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (بعثة أبي موسى ومعاذ إلى اليمن) ، برقم ٤٣٤١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٣ .

(٣) أخرجه البخاري كتاب (العلم) باب (ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا) ، برقم ٦٩ ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٤ .

(٤) (١/ ١٩١) .

السَّبِيلِ (٧٧) ﴾ [المائدة : ٧٧] .

وبعث الله نبينا محمداً ﷺ برفع الآصار والأغلال التي كانت على من قبلنا بشريعة سمحة ، من قواعدها : (رفع الحرج) ، ومن قواعدها : (أن المشقة تجلب التيسير) ومن قواعدها : (لا واجب بلا اقتدار ، ولا محرم مع اضطرار) ومن قواعدها (أن الضرر يزال ، فلا ضرر ولا إضرار) .

ونبينا محمد ﷺ « ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه » (١) .

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : كان رسول الله إذا بعث أحداً من أصحابه رضي الله عنهم في بعض أمره قال : «**بشروا ولا تنفروا ، ويسِّروا ولا تعسروا**» (٢) .

ولما بعث رسول الله معاذاً وأبا موسى إلى اليمن دعاةً أوصاهما فقال : « **يسَّرا ولا تعسَّرا ،وبشِّرا ولا تنفِّرا ، وتطاوعا ولا تختلفا**» (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثاً (٤) .

وهذه الجملة يمكن أن تكون:

(١) **إنشائية** : يراد بها الدعاء،ومن دعى عليه النبي ﷺ عظمت مصيبته وخاب سعيه .

(٢) **خبرية** : بحيث أخبر النبي ﷺ عن مصير الغالي وعاقبته .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : « غداة جَمْعٍ (٥) : **هلمَّ القط لي الحصى** ، فلقطت له حصيات من حصى الخذف ،فلما وضعها في يده ، **قال : بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) ، برقم ٣٥٦٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (مباعدته ﷺ للآثام) ، برقم ٢٣٢٧ . من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (في الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٢ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (بعثة أبي موسى ومعاذ إلى اليمن) ، برقم ٤٣٤١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الجهاد) باب (الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم ١٧٣٣ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (القدر) باب (هلك المتنطعون) ، برقم ٢٦٧٠ .

(٥) أي صبيحة يوم مزدلفة .

الغلو في الدين»[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: [٢]

وهذا عام في جميع الغلو في الاعتقادات والأعمال ،وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمرات،وهذا داخل فيه مثل الرمي بالحجار الكبار بناءً على أنها أبلغ من الصغار، ثم عليله بما يقتضي مجانبة هديهم ـ أي هدي من كان قبلنا ـ إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك .اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا** ، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً،فقال رسول الله ﷺ: **لو قلت :«نعم» لوجبت ،ولما استطعتم ،ثم قال: ذروني ما تركتكم ،فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا كأنَّهم تقالُّوها. فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟، فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم: أمَّا أنا فأصلي الليل أبداً. وقال الآخر:أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ،ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»[٤] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي ﷺ وعندها امرأة فقال: من هذه؟، قلت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: «**مه ،عليكم بما تطيقون ،فوالله لا يمل الله حتى تملوا** ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/٢١٥-٣٤٧) وابن خزيمة (٤/٢٦٧-٢٦٨) والنسائي (٥/٢٦٨) ، وابن ماجة برقم (٣٠٢٩) والحاكم ١/٤٦٦) وهو حديث صحيح صححه جماعة من الأئمة.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٨٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الحج) باب (فرض العمرة) ، برقم ١٣٣٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (الترغيب في النكاح) ، رقم ٥٠٦٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (النكاح) باب (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه) ، برقم ١٤٠١ .

وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» (١) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله**» (٢) .

وعن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**. قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. فقال: **قولوا بقولكم أو ببعض قولكم، ولا يستجيرنكم الشيطان**» (٣) .

[١٢] أنَّه ﷺ بُعث إلى البشرية بالرحمة والعدل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: ادع على المشركين، فقال ﷺ: «**إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة**» (٤) .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**» (٥) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين** ـ أي العادلين ـ **عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ عز وجل ـ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا**» (٦) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**» (٧) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل معاهداً لم يرح**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (أحب الدين إلى الله أدومه)، برقم ٤٣، ومسلم في صحيحه كتاب (صلاة المسافرين) باب (فضيلة العمل الدائم برقم ٧٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (أحاديث الأنبياء) باب قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ برقم ٣٤٤٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٥) وأبو داود في سننه كتاب (الأدب) باب (كراهية التمادح)، برقم ٤٨٠٦، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله-.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (النهي عن لعن الدابة وغيرها)، برقم ٢٥٩٩.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الفضائل) باب (رحمة النبي ﷺ بالصبيان والعيال)، برقم ٢٣١٩.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (فضيلة الإمام العادل)، برقم ١٨٢٧.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الظلم)، برقم ٢٥٧٨.

رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً» (١) .

وقال ﷺ : «**ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة**» (٢) .

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلَّن عقدة ولا يشدها حتى يمضي أمدها أو ينبذ إليهم على سوء**»(٣).

[١٣] أنه ﷺ بُعِثَ إلى البشرية بالحثّ على إعمال العقل واستغلاله.

لقد جاءت شريعة محمد ﷺ بما يوافق العقول السليمة والفطرة المستقيمة ، فلم يأمر الشرع بأمر قط فقال العقل: ليته نهى عنه ، ولا نهى عن شيء قط فقال: العقل ليته أمر به.

وزوال العقل في الشريعة الإسلامية من موانع التكليف، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بإعمال العقل واستغلاله حسب ما يحبه الله ويرضاه، فقد وردت أحاديث نبوية عديدة تحث على البحث العلمي وإجراء التجارب إعمالاً للعقل واستغلالاً له، وسأكتفي هنا بإيراد حديثين للدلالة على ذلك، وقد سبق مزيد بيان لهذا في دلائل النبوة في الفصل الذي عقد لبيان الإعجاز العلمي في السُّنَّة المطهرة.

أما الحديثان المشار إليهما آنفاً فهما حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

❁ قال رسول الله ﷺ : « **ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء**» (٤) .

❁ وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ـ عز وجل ـ**» (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الجزية والموادعة) باب (إثم من قتل معاهداً) ، برقم ٣١٦٦ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب (الخراج والإمارة) باب (في تعشير أهل الذمة) ، برقم ٣٠٥٢ . والبيهقي في سننه (٩ / ٢٠٥) وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ.

(٣) أخرجه أحمد في مسندة (٤ / ٣٨٥-٣٨٦)، والترمذي في سُننه في كتاب(السير عن رسول الله ﷺ) باب (ما جاء في الغدر) ، برقم١٥٨٠ والطيالسي في مسنده (١ / ٢٤٠) وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الطب) باب (ما أنزل الله من داءٍ إلا أنزل له شفاء) ، برقم ٥٦٧٨ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (السلام) باب (لكل داء دواء واستحباب التداوي) ، برقم ٢٢٠٤ .

فعند أن يقرر نبينا ﷺ هذا التقرير الجازم بوحي من الله أنه ليس هناك داءٌ إلا وله دواء ، فإنه بهذا يفتح آفاق العلم والمعرفة والبحث العلمي، وإجراء الاختبارات على مصاريعها لاكتشاف الأدوية لتلك الأدواء التي كان الإنسان يقف مكتوف الأيدي مستسلماً للأمراض ، ولا يدري كيف يتخلص منها، فأرشده نبينا ﷺ ضمناً إلى أن لا ييأس ، وإنما يبحث ويعمل عقله حتى يصل إلى نتيجة ، والله أعلم.

وإليك أيها القارئ الكريم بعض الأمثلة من سيرة النبي ﷺ مع أصحابه يحثُّ فيها على الانتفاع بنعمة العقل والاستفادة منه:

[١] بوَّب الإمام البخاري –رحمه الله– في صحيحه في كتاب العلم باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم.

ثم أورد تحته حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم ، حدثوني ما هي؟**، قال: فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله. **قال: هي النخلة** »[١] .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح:[٢]

في الحديث من الفوائد : امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى،مع بيانه لهم إن لم يفهموه.

وقال أيضاً: وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام وتصوير المعاني،لترسخ في الذهن ، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة . اهـ.

[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ امرأتي ولدت غلاماً أسوداً وإني أنكرته. فقال النبي ﷺ : «**هل لك من إبل؟**، قال: نعم. **قال: ما ألوانها؟** ، قال: حمر. **قال: فهل فيها من أورق؟** ، **قال: نعم.**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٦٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب (صفة القيامة) باب (مثل المؤمن مثل النخلة) ، برقم ٢٨١١ .

(٢) (١/١٧٦-١٧٧) .

قال رسول الله ﷺ : **فأنى هو ؟** ، قال : لعله يا رسول الله يكون نزعه عرق له . فقال له النبي ﷺ : **وهذا لعله يكون نزعه عرق له»** [١] .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: [٢]

وفي الحديث ضرب المثل ، وتشبيه المجهول بالمعلوم تقريباً لفهم السائل .

واستُدلَّ به لصحة العمل بالقياس .

قال الخطابي : هو أصل في قياس الشبه .

وقال ابن العربي : فيه دليلٌ على صحة القياس والاعتبار بالنظير . اهـ.

وأما القرآن الكريم الذي بلَّغه الرسول ﷺ عن الله ، ففيه الشيء الكثير،ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (٥٣) ﴾ [فصلت :٥٣] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله - في التفسير: [٣]

أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسوله ﷺ بدلائل خارجية؛ ﴿ **فِي الآفَاقِ** ﴾ من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان .

قال مجاهد والحسن والسدّي: ودلائل في أنفسهم ،قالوا :وقعة بدر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلَّت بهم، نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه ، وخذل فيها الباطل وحزبه .

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة ، كما هو مبسوط في علم التشريح الدالة على حكمة الصانع ـ تبارك وتعالى ـ وكذلك ما هو مجبولٌ عليه من الأخلاق المتباينة ، من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (النكاح) باب (إذا عرَّض بنفي الولد) ، برقم ٥٣٠٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب (اللِّعان) ، برقم ١٥٠٠ ، واللفظ للمسلم.

(٢) (٩/٣٥٣) .

(٣) (٣/١٣٣) .

حسن وقبح ، وغير ذلك ،وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي يقدر بحوله وقوّته، وحيله وحذره أن يجوزها ولا يتعداها . اهـ.

وقال تعالى: ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) ﴾ [الغاشية :١٧ـ ١٩].

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره:

يقول تعالى ـ حثًّا ـ للذين لا يصدقون الرسول ﷺ ولغيرهم من الناس أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالّة على توحيده ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ أي: ألا ينظرون إلى خلقها البديع ،وكيف سخرها الله للعباد ،وذللها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها.

﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ بهيئة باهرة حصل بها الاستقرار للأرض وثباتها من الاضطراب، وأودع فيها من المنافع الجليلة ما أودع.

﴿ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ أي مدَّت مداً واسعاً ، وسهلت غاية التسهيل ليستقر العباد على ظهرها،ويتمكنوا من حرثها وغرسها،والبنيان فيها وسلك طرقها.

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها ، كما دلَّ على ذلك النقل والعقل ، والحس والمشاهدة. اهـ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

قال العلامة السعدي -رحمه الله - في تفسيره:

في ضمن ذلك حثٌّ للعباد على التفكر فيها ،والتبصر بآياتها ، وتدبر خلقتها.

وأبهم قوله: ﴿ آيَاتٍ ﴾ ولم يقل:« على المطلب الفلاني » إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين،ويقنع المتفكرين،ويجذب أفئدة الصادقين ، وينبه العقول النيِّرة على جميع المطالب الإلهية.

فأمَّا تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن مخلوقاً أن يحصره ويحيط ببعضه ،وفي الجملة : فما فيها من العظمة والسعة وانتظام السير والحركة يدل على عظمة خالقها وعظمة سلطانه وشمول قدرته،وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنع ولطائف الفعل يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها وسعة علمه،وما فيها من الإحكام،وما فيها من المنافع للخلق يدل على سعة رحمة الله وعموم فضله وشمول بِرِّه ووجوب شكره.

وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها،وبذل الجهد في مرضاته،وأن لا يشرك به سواه ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخصَّ الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول، لأنهم هم المنتفعون بها الناظرون إليها بعقولهم، لا بأبصارهم . اهـ.

ففي القرآن الذي جاء به محمدٌ بن عبد الله ﷺ من عند الله أوضح الدلالات على حثّ الإنسان على إعمال عقله واستغلاله فيما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه،فقد حثَّه القرآن الكريم على التفكر في نفسه ،وفي الأرض التي يعمرها،وفي الكون الذي يحيط به، قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾[الروم:٨].

✿ وقال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات :٢٠-٢١] .

✿ وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ [الطارق : ٥-٧] .

✿ وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

✿ وقال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾ [الرحمن : ١٩-٢١] .

- أليس في هذا حثٌّ للعقل البشري أن يبحث ويتدبَّر؟.
- أليس في القرآن ما يثير في الإنسان الحسَّ العلمي للتفكر والفهم والتعقل؟ بلى والله.
- قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [النور :٦١].
- وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:٢١].
- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد :٣].
- وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾ [العنكبوت : ٤٣].
- وقال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام :٦٥].
- وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾ [فاطر : ٢٧].

[١٤] أنه ﷺ بُعِثَ إلى البشرية بالدعوة إلى التآلف والتعاطف والتحاب والتكافل، ونبذ أسباب الفرقة والعداوة والبغضاء، كل ذلك حسب شريعة الله.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تدعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى**» (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ،**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الناس والبهائم)، برقم ٦٠١١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم)، برقم ٢٥٨٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب(الإيمان) باب(من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، برقم ١٣ ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لاخيه ما يحب لنفسه)، برقم٤٥ .

ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ ، أفشوا السلام بينكم» (١) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**» (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً**» (٣) .

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ،فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري:يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال رسول الله ﷺ: **ما بال دعوى الجاهلية؟** ، قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: **دعوها فإنها منتنة**» (٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ،ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض،وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ،بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ،كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه**» (٥) .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم،**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (بيان أنَّه لا يدخل الجنَّة إلا المؤمنون)، برقم ٥٤ .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الظلم)، برقم ٢٥٨٠ .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ ﴾ برقم ٦٠٦٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الظلم والتجسس)، برقم ٢٥٦٣ .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً)، برقم ٢٥٨٤ .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم ظلم المسلم) ،برقم ٢٥٦٤ .

ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (١) .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»** (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فَيُغْفَرُ لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء ،فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا** » (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حق المسلم على المسلم ست**، قيل: ما هنَّ؟ يا رسول الله. **قال: إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته ، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»** (٤) .

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، ليدعنَّ رجالٌ فخرهم بأقوام ، إنما هم فحمٌ من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان**(٥) **التي تدفع بأنفها النتن**» (٦) .

وقد كان من أوائل ما فعل النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة أن آخى بين المهاجرين والأنصار، ليتكون مجتمعٌ مسلمٌ مترابطٌ متلائمٌ يمثل النواة الأولى للدولة الإسلامية

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (الهجر) ، برقم ٦٠٧٧ ، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الهجر فوق ثلاث لغير عذر شرعي) ، برقم ٢٥٦٠ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (النهي عن الشحناء والتهاجر) ، برقم ٢٥٦٥ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (السلام) باب (حق المسلم على المسلم) ، برقم ٢١٦٢ .

(٥) مفردها جُعَل: وهو حيوان معروف كالخنفساء.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٦٢) ، وأبو داود في سننه كتاب (الأدب) باب (في العصبية) ، برقم ٥١١٦ ، وحسّنه العلامة الألباني -رحمه الله-.

التي انتشرت بعد ذلك في أرجاء الأرض.

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في التآخي والمحبة والإيثار، يدل على صدقهم وعظيم رغبتهم فيما عند الله،ومن ذلك أن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر إلى المدينة آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري،فقال له سعد: هلَّم أقاسمك مالي نصفين،ولي امرأتان فأطلق إحداهما،فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فقال له عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك،دلُّوني على السوق، فدلُّوه، فما رجع يومئذٍ إلا ومعه شيء من أقط وسمن قد استفضله» (١).

[١٥] أنّه ﷺ بُعث إلى البشرية بحقن الدماء وحفظ الأموال والأعراض والعقول:

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السَّنة إثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمُحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.أي شهر هذا؟** قلنا الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. **قال أليس ذو الحجة؟**، قلنا: بلى. قال: **فأي بلد هذا؟**، قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. **قال: أليس البلدة؟** قلنا: بلى. **قال: فأي يومٍ هذا؟** قلنا الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. **قال: أليس يوم النحر؟** قلنا: بلى. **قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب**» (٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مُسكر خمر، وكل مُسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب، لم**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (البر والصلة) باب (ما جاء في مواساة الأخ)، برقم ١٩٣٣، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله-.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (حجَّة الوداع)،برقم ٤٤٠٦، ومسلم في صحيحه، باب (تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال)، برقم ١٦٧٩.

يشربها في الآخرة» [١] .

[١٦] أنّه ﷺ دل أمته على الطريقة المثلى في التعامل مع الحكام الظلمة والفسقة من المسلمين ، ومن ذلك:

(أ) أمره ﷺ بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم بالمال والأعمال :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كره من أميره شيئاً فليصبر ، فإنه من خرج من السلطان شبراً فمات عليه ، إلا مات ميتة جاهلية**» [٢] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: « دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه،فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا،وعسرنا ويسرنا،وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان »[٣].

وعن أسيد بن حضير أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استعملت فلان ولم تستعملني. قال: « **إنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني**» [٤] .

(ب) أمره ﷺ بطاعة الأمراء ، وإن منعوا الحقوق :

عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال: « سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقَّهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه،ثم سأله فأعرض عنه،ثم سأله في الثانية أو الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس فقال رسول الله ﷺ: **اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم**» [٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الأشربة) باب (بيان أن كل مسكر خمر) ، برقم ٢٠٠١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الفتن) باب (قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها)، برقم ٧٠٥٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن)، برقم ١٨٤٩ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الفتن) باب (قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها)،برقم ٧٠٥٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في الموضع السابق برقم ٧٠٥٧ ، ومسلم في صحيحه) باب (الأمر بالصبر عند ظلم الولاة) ، برقم ١٨٤٥ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق) ، برقم ١٨٤٦ .

(جـ) أمره ﷺ بالسمع والطاعة وإن أخذ الأمير المال وضرب الظهر وخالف السُنن حفاظاً على الجماعة ودرءاً للفتنة :

عن حذيفة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إنَّا كُنَّا في جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير فنحن فيه،فهل بعد هذا الخير شر؟ **قال : نعم** .قلت : هل وراء ذلك الشر خير؟ **قال : نعم** . قلت : فهل وراء ذلك الخير شرٌ؟، **قال : نعم** . قلت : كيف؟ ،**قال : يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسُنَّتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس** . قلت : كيف أصنع إن أدركت ذلك؟، **قال : تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع** »[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:[٢]

بعد أن ذكر الأحاديث التي تأمر بالصبر على جور السلطان : « فأمر مع ذكره لظلمهم بالصبر، وإعطاء حقوقهم،وطلب المظلوم حقه من الله،ولم يأذن للمظلوم المبغي عليه بقتال الباغي في هذه الصور التي يكون القتال فيها فتنة ،كما أذن في دفع الصائل بالقتال،حيث قال : «**من قتل دون ماله فهو شهيد ، من قتل دون دينه فهو شهيد**» ، فإن قتال اللصوص ليس قتال فتنة،إذ الناس كلهم أعوان على ذلك ، فليس فيه ضرر عام على غير الظالم ،بخلاف قتال ولاة الأمر، فإن فيه فتنة وشراً عاماً أعظم من ظلمهم، فالمشروع فيه الصبر . اهـ.

وقال -رحمه الله -:[٣]

ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السُّنَّة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم،كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ ،لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة،فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما،ولعله لا يكاد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب(الإمارة) باب(وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن) برقم١٨٤٧ .
(٢) الاستقامة (١/ ٣٥-٣٦) .
(٣) منهاج السُّنَّة (٣/ ٣٩) .

يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته . اهـ.

(د) حثه ﷺ على إنكار المنكرات - بالضوابط الشرعية - دون لجوءٍ إلى قتال وإثارة فتنة.

عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع**. قالوا: أفلا نقاتلهم؟، قال: **لا. ما صلوا**» (١).

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: (٢)

«النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر، ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان الإنكار يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما أقاموا الصلاة»، وقال: «**من رأى من أميره ما يكره فليصبر، ولا ينزعنَّ يداً من طاعة**».

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت وردّه على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك، لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهدٍ بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإمارة) باب (وجوب الإنكار على الامراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا)، برقم ١٨٥٤.

(٢) إعلام الموقعين (٣/٦-٧).

باليد ، لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه ،كما وجد سواء . اهـ.

(هـ) حذَّر وانذر مَنْ صدَّق الأمراء الكَذَبة وأعانهم على ظلمهم دون أن يأذن بقتالهم،

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لكعب بن عجرة: « **أعاذك الله من إمارة السفهاء**، قال: وما إمارة السفهاء؟، **قال: أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسُنَّتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم ،فأولئك ليسوا مني ولست منهم ،ولا يردون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم ،وسيردون على حوضي**» (١) .

[١٧] أنه ﷺ بُعث إلى البشرية بالدعوة إلى اليقين والطمأنينة،ونبذ القلق والشكوك والأوهام: ويتضح ذلك بما يلي:

(أ) دعوته ﷺ إلى إفراد الله بالعبادة دون ما سواه، بحيث :

لا يبقى القلب متعلقاً إلا بالله ،فلا تعلق بقبرٍ ولا شجرٍ ولا حجرٍ ولا إنسٍ ولا جنٍ، لأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر، بيده النفع والضر، إذا اعتقد العبد هذا أراح واستراح وعاش مطمئناً هادئ البال منشرح الصدر، آمناً من عذاب الله ، لأن الشرك بالله أعظم ما عُصِيَ الله به .

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد؟** ، قلت: الله ورسوله أعلم. ، **قال: حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً. يا معاذ بن جبل ، هل تدري ماحق العباد على الله إذا فعلوه؟** قلت: الله ورسوله أعلم. **قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم**» (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة**» (٣) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ((٣ / ٣٢١) وغيره ، وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (اللباس) باب (إرداف الرجل خلف الرجل) ، برقم ٥٩٦٧ ومسلم كتاب (الإيمان) باب (الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة) ، برقم ٣٠ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة) برقم ٢٧ .

(ب) دعوته ﷺ إلى الإيمان بالقضاء والقدر مع الأخذ بالأسباب المشروعة ،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍ خيرٌ . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لم يصبني كذا ، ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان»** (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال : «**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ،احفظ الله تجده تجاهك ،إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ،واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ،ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :«**لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به ، فإن كان لابدَّ متمنياً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ،وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**» (٣) .

(جـ) حثه ﷺ على الإعراض عن الوساوس التي يلقيها الشيطان ليشكك المسلم في عقيدته ، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يأتي الشيطان لأحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ ، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**» (٤) .

(د) تحذيره ﷺ من سوء الظن:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «**إياكم والظن ، فإن الظن أكذب**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (القدر) باب (الأمر بالقوة وترك العجز) ، برقم ٢٦٦٤ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (القيامة والرقاق) ، برقم ٢٦٨٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الدعوات) باب (الدعاء بالموت والحياة) ، برقم ٦٣٥١ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الذكر والدعاء) باب (كراهية تمني الموات لضرٍ نزل به) برقم ٢٦٨٠ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الخلق) باب (صفة إبليس وجنوده) ،برقم ٣٢٧٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (بيان الوسوسة في الإيمان) ، برقم ١٣٤ .

الحديث» [١] .

ثانياً: الخير الآجل الذي سيقدمه ﷺ للبشرية :

وهو على قسمين خير سيقدمه للبشرية جمعاء،وخيرٌ سيقدمه لأمَّته خاصَّة:

أولاً: الخير الذي سيقدمه للبشرية عموماً ومنهم أمَّته :

[١] الشفاعة للناس يوم القيامة إلى الله ليريحهم من هول ما في الموقف وشدته:

وهذا هو المقام المحمود الذي قال الله عنه : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) ﴾ الإسراء : ٧٩] .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: [٢]

قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم . اهـ.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :قال رسول الله ﷺ : «**إن الشمس تدنو من الخلائق حتى يبلغ العرق نصف الآذان ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم موسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضي بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده الجميع كلُّهم**» [٣] .

والعلماء يذكرون في هذا الموضع حديث الشفاعة الطويل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أُتِيَ رسول الله ﷺ يوماً بلحم ،فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه ،فنهس منها نهسة ،فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ،وهل تدرون بم ذلك ؟ ، يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ،وينفذهم البصر وتدنو الشمس ،فيبلغ الناس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ،ألا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾ برقم ٦٠٦٦ ، ومسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة) باب (تحريم الظن والتجسس) ، برقم ٢٥٦٣ .

(٢) (٥/٧٩) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (من سأل الناس تكثيراً) ، برقم ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ .

ترون ما قد بلغكم؟ ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ ،فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم.

فيقولون :يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ،ونفخ فيك من روحه ،وأمر الملائكة فسجدوا لك ،اشفع لنا إلى ربك ،ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟، فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ،ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسمَّاك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟، ألا ترى ما قد بلغنا؟ ، فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام.

فيأتون إلى إبراهيم عليه السلام فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ ، فيقول لهم إبراهيم عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ،ولن يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله ،فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ،ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ،ألا ترى ما قد بلغنا؟، فيقول لهم موسى: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها ،نفسي نفسي ،اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون :يا عيسى أنت رسول الله ،وكلمت الناس في المهد ،وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ، ألا ترى ما قد بلغنا؟، فيقول لهم عيسى عليه السلام :إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ،ولم يذكر لهم ذنباً ، نفسي نفسي، اذهبوا إلى محمد.

فيأتونني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ،ألا ترى إلى ما نحن فيه؟، ألا ترى ما قد بلغنا؟ ، فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح عليَّ الله ويلهمني من محامده وحُسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك. سل تعطه ، اشفع تشفع ،فأرفع رأسي فأقول: يا رب أُمَّتي أُمَّتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة حِمْيَر أو كما بين مكة وبصرى» (١) .

[٢] الشفاعة يوم القيامة لأهل الجنة بدخول الجنة :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»** (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن :من أنت ؟، فأقول :محمد .فيقول :بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك»** (٣).

ومن تأمل فيما سبق يجد عظيم ما تسبب به نبينا محمد ﷺ للناس من الخير يوم القيامة،إذ بشفاعته أراح الناس من أهوال الموقف وشدته وكربه،وعند وصول أهل الجنة إلى أبواب الجنة وجدوا الأبواب مغلقة، فيشفع للناس بدخول الجنة ويستفتح لهم.

ثانياً: الخير الذي سيقدّمه ﷺ لأمّته:

لقد تسبب نبينا محمد ﷺ في خير كثير لأمته في الدنيا والآخرة،فكل خصائص أمته من الخير الذي نالوه ببركة بعثته واتباعه.

ومن الخير الذي يكون لأمته يوم القيامة ببركة بعثته إليهم وإكرام الله له وإتباعهم له ما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير) باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ برقم ٤٧١٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (أدنى أهل الجنة منزلة فيها) ، برقم ١٩٥

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (قول النبي ﷺ : **(أنا أول من يشفع في الجنة)**) برقم ١٩٦ .

(٣) المصدر السابق برقم ١٩٧ .

(١) أن أمته ﷺ أول الأمم يقضى لها يوم القيامة :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ،وكان للنصارى يوم الأحد ،فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ،فجعل الله الجمعة والسبت والأحد ،وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ،نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة ،المقضي لهم قبل الخلائق**» ، وفي رواية واصلٍ : **المقضي بينهم**» (١) .

(٢) أنه ﷺ يشفع لمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون منها :

ففي بعض ألفاظ حديث الشفاعة الطويل قال رسول الله ﷺ: فيأتونني فأنطلق ، فأستأذن على ربي فيأذن لي عليه ، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ،ثم يقال لي : ارفع محمد ،قل يسمع ،وسل تعطه ،واشفع تُشفَّع ،فأحمد ربي بمحامد علمنيها ،ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ،ثم أرجع ،فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ،ثم يقال :ارفع محمد وقل يسمع ، وسل تعطى ،واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ،ثم أشفع ،فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أرجع ،فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً ، فيدعني ثم يقال : ارفع محمد ،قل يسمع وسل تعطه واشفع تُشَفَّع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ،ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود ، فقال النبي ﷺ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة..... ثم ذكر ما يزن بُرَّة ثم ذكر ما يزن ذرَّة» (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً ، لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً**» (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (هداية الله هذه الأمة ليوم الجمعة) برقم ٨٥٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التوحيد) باب قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾) برقم ٧٤١٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (أدنى أهل الجنة منزلة) برقم ١٩٣ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (اختبأ النبي ﷺ دعوته الشفاعة لأمته) برقم ١٩٨ .

(٣) أن الله يدخل من أمته ﷺ الجنة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر** ، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرةً عليه فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، **قال : اللهم اجعله منهم**. ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. **فقال : سبقك بها عكاشة**» (١) .

(٤) أن أمته ﷺ أول الأمم دخولاً الجنَّة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنَّة**» (٢) .

(٥) أن أمته ﷺ أكثر أهل الجنَّة :

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنَّا مع النبي ﷺ في قُبَّةٍ فقال : **أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**، قلنا : نعم. قال : **أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنَّة؟** ، قلنا : نعم. **قال : أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنَّة؟** ، قلنا : نعم. قال : **والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وذلك أن الجنَّة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر**» (٣) .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**أهل الجنة عشرون ومئة صف ثمانون منها من هذه الأمَّة وأربعون من سائر الأمم**» (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب(الرقائق) باب (يدخل الجنة سبعون ألفاً بلا حساب ولا عذاب) برقم ٦٥٤٢ ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بلا حساب ولا عذاب) ، برقم ٢١٦ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (هداية هذه الأمة ليوم الجمعة) ، برقم ٨٥٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الرقائق) باب (الحشر) ، برقم ٦٥٢٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (كون هذه الأمة نصف أهل الجنَّة) ، برقم ٢٢١ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٤٥٣) ، والترمذي في سننه كتاب (صفة الجنة) باب (ما جاء في صفّ أهل الجنة) ، برقم ٢٥٤٦ وغيرهما ، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله-.